# مخطوطة رسالة المآخذ

## ومؤاخذتها والاستدراك عليها

أما رسالة المآخذ فهي لابن الدهان النحوي الكبير المتوفى سنة ٥٦٩ هـ وهو مترجم في ابن خلكان وفي معجم الادباء (ج ٤ ص ٢٤١) . وقد قالوا في ترجمته : ان كتبه غرقت في دجلة فأراد استصلاحها وتجفيف أوراقها فعالج تبخيرها باللاذَن فعمي . واللاذن (بفتح الذال المعجمة) ضرب من العلوك . ومن شعر ابن الدهان قوله :

(لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة     والجد تعلو به بين الورى القيَم)

(ولا يغرنك من ملك تبسمه     ما تصعق السحب الا حين تبتسم)

ورسالته او كتابه (المآخذ) جمع فيه ما تابع المتنبي به ابا تمام في شعره . ولم يذكر ياقوت في معجمه اسم هذا الكتاب بين مصنفات ابن الدهان . أما صاحب كشف الظنون فقد ذكره وسماه (الرساله السعيدية في المآخذ الكندية) فقوله (السعيدية) نسبة لابن الدهان نفسه فان اسمه (سعيد بن المبارك) وقوله (الكندية) نسبة الى ابي الطيب المتنبي فانه كِندي النسب . و (المآخذ) جمع مأخذ بمعنى الأخذ أو مكان الأخذ : فابن الدهان في كتابه هذا يرشدنا الى أخذ المتنبي بعض معاني اشعاره من شعر ابي تمام أو أنه يرشدنا الى مواضع الاخذ من شعره . وبعد نحو ستين سنة من زمن ابن الدهان يقوم اكبر أديب عربي مارس صناعة الأدب وعالج نقد الشعر وتبحر فيه علماً وعملاً ووضع له أصولاً وقواعد : اعني به ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب (المثل السائر) والمتوفى سنة ٦٢٧ هـ وهو من المولعين بالمتنبي وشعره – يقوم هذا الأديب فتحمله الأنفة

مما نسبه اليه ابن الدهان في مآخذه التي يعبرون عنها بالسرقات أحياناً ويؤلف كتاباً فيؤاخذ ابن الدهان على ما كان منه ويناقشه في مؤاخذاته ويفند معظمها لكنه مع هذا لم يملك نفسه ولم تطاوعه امانته واخلاصه للأدب وخدمة الأدب في السكوت عما عثر عليه هو من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي فيكون في كتابه هذا قد جمع بين شيئين : مؤاخذة ابن الدهان على مؤاخذاته – واستدراكه عليها بذكر ما فاته منها وسمى كتابه ( الاستدراك في الأخذ على المآخذ ) .

وفي مكتبتي الخاصة نسخة من كتاب الاستدراك هذا لكنها قد خرمت من أولها بنحو بضع ورقات ومن وسطها كذلك . وقد قدرت الخرم في آخرها بنحو خمسين صفحة . والموجود لديّ منها مئة ورقة ونيف متوسطة القطع حسنة الخط وعليها تعاليق قليلة بعضها بخط محمد النصري الطرابلسي مؤلف كتاب اللؤلؤ الرطب على قصيدة كعب . وقد صحح كثيرٌ من الفاظ الرسالة . على أنها لا تخلو من أغلاط وتحاريف . وعرفنا أن مؤلف الكتاب هو ضياء الدين من أطواء هذه الأوراق : ففي الصفحة ( ١٦ ) ما نصه ( والكلام في مثل هذا الموضع طويل عريض . ولو أخذت في استقصائه لاتسع المجال لكنه يؤخذ من كتابي الموسوم بالمثل السائر فانه موضوع لبيان أسرار الألفاظ والمعاني وتفصيل اقسامها ) . وفي مكتبة احمد تيمور باشا نسخة من هذا الكتاب موسومة باسم ( الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية ) وقد اسهب ضياء الدين في مقدمة كتابه ( الاستدراك ) في مباحث نقد الشعر وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها . وتخلل كلامه كثير من تبجحاته التي اشتهر بها . ولو حماه الله منها لكان أقرب الى النفوس . ولكانت مصنفاته أعلق بالقلوب . وقد استطال في كتابه على ابن الدهان فلم يرع حقه . ولم يوقر حرمته . ولا سلامة قلبه التي ظهر أثرها في التدخين على كتبه باللاذن حتى فقد عينيه : فكان يسخر منه أحياناً

ويعيره بانه نحوي لا بصارة له في صناعة الأدب . ولا عناية بفن نقد الشعر .

ومن أمثلة صلف ضياء الدين وتبجحه ما تنقله عن نسختنا ( الاستدراك ) في الصفحة ١٧ فقد قال ما نصه :

( وعرض عليّ بعض الاخوان ممن عنده فضيلة -- كتاب الحماسة وقد قرأه على شيخ من مشيخة علماء العربية بالعراق وكتب له خطه بالقراءة والبحث عن مشكلات الكتاب . والتوقيف على معانيه . فأخذته الى يدي وتصفحته ، فأول ما خرج منه القطعة الرائية للمنخل التي اولها :

( ان كنتِ عاذلتي فسيري   نحو العراق ولا تحوري )

وأول ما وقع نظري على بيت منها وهو :

(ولقد دخلت على الفتا   ة الخدر في اليوم المطير)

سنح لخاطري في تلك الحال ان المنخل أراد كذا وكذا . فقلت لذلك الرجل : ما شرح لك شيخك من معنى هذا البيت ؟ فقال : هذا معنى ظاهر لا يُسأل عنه . فقلت : وما هو هذا الظاهر ؟ فقال : يريد أنه دخل على هذه المرأة في يوم يجيء فيه المطر . قلت إن كان أراد هذا فقد خاب وخسر . وان كان ابو تمام فهم ذلك منه واختاره فهو أخيب وأخسر . وأي معنى ها هنا حتى يُختار . إن كان المراد به ذلك . فوجم الرجل لقولي وأطرق . ثم رفع رأسه وقال : ما الذي عندك ؟ فقلت ان المنخل قد وصف نفسه بالشجاعة والاقدام وقوة الجنان : يريد أنه دخل على هذه المرأة وزوجها شاهد أي حاضر في البيت . ولم تمنعه المراقبة ولا الخوف من دخوله عليها . ألا ترى ان من العادة في الأكثر والأغلب أنه اذا جاء المطر يمتنع المسافر عن السفر والزائر عن الزيارة وصاحب الشغل عن السعي في شغله ، وقد يسافر عند مجيء المطر ويزور ويسعى في الشغل لكن يقع ذلك نادراً والحكم انما يكون على الأكثر والأغلب .

فالمنخل يريد بقوله في اليوم المطير أنه دخل على هذه المرأة وزوجها حاضر في البيت • ولم يرد أنه دخل بمرأى منه ، بل دخله وهو حاضر فيه ولم يصدّه عن ذلك خوف ولا مراقبة ، ومما يشهد بذلك أن النعمان دخل بيته عند نزوله من ركوبه فرأى امرأته وقد ربطت رجلها ورجل المنخل في قيد وهما جالسان : قصدت بذلك ان تقرّبه منها قرباً ملصقاً بحيث لا ينفك عنها • فأخذه وسلمه الى صاحب حبسه • وهو رجل اسمه عِكَبّ[1] وأمره بقتله ، والحكاية في ذلك مشهورة • انتهى

المغربي

---

(١) عكبّ بكسر ففتح فتشديد صاحب سجن النعمان بن المنذر قال المنخل اليشكري في عكبّ هذا :

( يطوّف بي عِكَبّ في معدّ ويطعن بالصُمُلّة في قفيّا )

والصُمُلّة العصا أو الحربة . والقفيّ جمع قفا .